دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القاهرة كما رآها الخديوي إسماعيل : " إبداع وجمال "
المصدر:	مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية
الناشر:	الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية
المؤلف الرئيسي:	سليمان، عماد رمضان
المجلد/العدد:	ع 19
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	يناير
الصفحات:	190 - 204
رقم MD:	85251
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	النمو العمراني، مصر، الملوك والحكام، إسماعيل باشا، الأحوال السياسية، التخطيط العمراني، حماية البيئة، تلوث البيئة، القاهرة، مصر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/85251

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القاهرة

كما رآهـا الخديوي إسماعيل

"إبداع و جمال"

الدكتور/ عماد رمضان سليمان

ديسمبر٢٠٠٨ م

القاهرة

كما رآها الخديوي إسماعيل

"إبداع و جمال"

إعداد الدكتور/ عماد رمضان سليمان

تعد مدينة القاهرة من أكثر مدن الشرق التي استأثرت بالكتابات و التأريخ حيث أطلق عليها لقب "جوهرة الشرق"، نظرا لأن عمر تلك المدينة يزيد على الألف عام، منذ مجئ الفاطميين إلى مصر، على أن شواهد التاريخ تؤكد أن مكان هذه المدينة كان عاصمة لمصر في أغلب فترات تاريخها، إذ يرجع البعض اتخاذها عاصمة إلى سنة ٩٨ ميلادية عندما بنى حصن بابليون و الذي ما تزال بقاياه موجودة حتى الآن، و عندما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر أقام عاصمته الجديدة الفسطاط بالقرب من ذلك الحصن (سنة ٢٠هـ/ ٦٣٩م) ثم مدينة " العسكر" التي بنيت (سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م)، ثم اتخذ أحمد بن طولون• " القطائع" (سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) عاصمة للدولة الطولونية في مصر، كما اتخذها محمد بن طغج الإخشيد• " عاصمة لدولته و التي عرفت بالدولة الإخشيدية،ثم أنشأت "القاهرة" وشملت المدن الثلاث في عصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على يد جوهر الصقلي عام ٩٦٩م والتي مازالت تحمل الاسم ذاته حتى اليوم[1]

• الأخشيد لقب إيراني تلقب به الأمراء، منح الخليفة الراضي العباسي لمحمد بن طفج لكسب مودت إلى جانبه و يدل هذا على مكانة الأخشيد في مصر و ما بلغه من سلطان و نفوذ كبير.

• أحمد بن طولون هو مؤسس الدولة الطولونية، وقد عنى بأمور شئون دولته و ما يتصل بها من مناحي الحياة، و أنشأ في مسجده المعروف باسمه إلى اليوم، و لا يزال شاهدا على ما بلغته الدولة من رقي و ازدهار في فنون العمارة، وأنشأ البيمارستان و أهتم بالزراعة فعنى بتطهير نهر النيل، وشق الترع، و إقامة الجسور، كما اهتم بالصناعة، ونتيجة لذلك عم الرخاء وازدادت مالية الدولة، واستغل بن طولون ذلك في تحسين أحوال الناس المعيشية.

(١) شحاتة عيسى إبراهيم ; القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ١٥-٧٣.

احمد محمد عوف : موسوعة حضارة العالم ،ج٦ الموسوعة الحرة ، ويكبيديا ،٣١-٩-٢٠٠٨م.

و القاهرة هي عاصمة مصر و أهم مدنها، فيبلغ عدد سكانها حوالي ٨٠ مليون نسمة حسب إحصائيات ٢٠٠٧ يمثلون ١٠,٧٣% من إجمالي سكان مصر، في حين يبلغ عدد سكان القاهرة الكبرى ٢٠ مليونا ونصف مليون نسمة، ويسكنها أكثر من ربع سكان مصر، وتصل الكثافة السكانية بها إلى أكثر من ١٥ ألف نسمة لكل كيلومتر مربع، وهي اكبر مدينة افريقية والاكثر سكانا في أفريقيا و الشرق الأوسط، وتشمل كامل مساحتها مدينة واحدة، وبالرغم من كونها كمدينة هي الأكبر إلا أنها تعد من أصغر المحافظات. [١]

وسميت تاريخيا باسم مدينة الألف مئذنة لكثرة مساجدها، أسسها القائد "جوهر الصقلي" ولتكون عاصمة "المعز لدين الله" القادم من تونس لفتح مصر بعد أن أسس الدولة الفاطمية في تونس و عاصمتها الأولى المهدية وقد قام جوهر الصقلي سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦٩م) ببناء سور حول ثلاث مدن (الفسطاط و القطائع و العسكر)، وقام بتسمية المدن الثلاث القاهرة، والتي تقع على ساحل النيل في طرفه الشمالي الشرقي، قبل القاهرة في مكانها الحالي بحوالي ميلين، وكان النيل عندها ينقسم إلى قسمين، وموضعها كان فضاء و مزارع بين النيل و الجبل الشرقي ليس فيه من البناء و العمارة سوى حصن بابليون الذي يطل على النيل من بابه الغربي الذي يعرف بباب الحديد واستفادت الفسطاط من موقعها على النيل بنتيجتين، فقد يسر النيل للأهالي سبل الحصول على الماء من جهة، وخدم توسعها العمراني من جهة ثانية. [٢]

فكانت القاهرة بموقعها الجغرافي تتحكم في طرق المواصلات التجارية الداخلية و الخارجية بين مصر و الشام، وبين مصر و الحجاز، وقد اكتشف هذا الموقع الاستراتيجي الفراعنة و البابليون و الرومان، فاتخذ منه الفراعنة مكانا لمدينة كبيرة، ثم جعلها البابليون مكانا لاستقرارهم عند نزولهم في مصر، ثم اتخذه الرومان مقرا لدفاعهم يصلون به الوجهين البحري و القبلي، ويدفعون منه كل معتد خارجي على مصر، والقاهرة من حيث المناخ، تتبع المناخ شبه الصحراوي فهي حارة نهارا وباردة ليلا، لا ينزلها المطر إلا نادرا كما هو الحال في باقي إقليم مصر ما عدا الإسكندرية[٢]

---

(١) علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ص ٤-٥.

(٢) علماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب: موسوعة وصف مصر، مكتبة نهضة مصر للطباعة و النشر، ج٤، ٢٠٠٢ م، ص ص ٢٢٤-٢٢٩.

و تعاقب على حكم مصر العديد من الحكام و ظلت القاهرة عاصمة لمصر إلى أن اعتلى الخديوي إسماعيل حفيد محمد علي باشا مؤسس النهضة الحديثة في مصر و ابن إبراهيم باشا الفاتح العظيم حكم مصر، وهو من الشخصيات الهامة والبارزة في تاريخ مصر الحديث إبان القرن التاسع عشر الميلادي، لقد حكم مصر الخديو إسماعيل سبعة عشر عاما (١٨٦٣-١٨٧٩) وترك حكمه دون إرادته، وبغض النظر عن سياسة إسماعيل المالية من الاستدانة التي سبب إغراق مصر في الديون وكذا التدخل الأجنبي الذي كان تمهيدا للاحتلال البريطاني لمصرنا الحبيبة، وبعيدا عن سياسته الداخلية و الخارجية ووقوفه في وجه التدخل الأجنبي السافر و شجاعته في مقاومة الدول الأوروبية وعدم اكتراثه بكرسي الحكم في سبيل دفاعه عن حقوق البلاد... البلاد التي أحبها وعشقها، وبعيدا عن نفيه و غربته في وطنه، ثم وفاته و عودته عكس ما كان يريد أن يعود، فقد عاد جثمانا، فقد أحب إسماعيل مصر حبا جما وعشقها عشقا جميلا، فأبدع وجمل مصرنا العزيزة.. وعليه سوف نتناول بعضا من هذا الإبداع و الجمال.

رغم اختلاف المؤرخين حول الخديوي إسماعيل وفترة حكمه إلا أنه اهتم كثيرا بالناحية العمرانية و الجمالية وتحسين البيئة المصرية من خلال التعليم و الزراعة و الصناعة و العمران و الصحة و اللمسة الجمالية لعاصمة البلاد.. القاهرة.

ويقول "الرافعي" بأن ميول إسماعيل اتجهت نحو تنظيم المدن و تخطيطها و تجميلها خاصة مدينة القاهرة، فكان بحق باني القاهرة الجديدة بشوارعها و ميادينها و حدائقها وعمائرها و نظافتها، فقد أدرك إسماعيل منذ دراسته بباريس بأهمية التحديث و العناية بالبيئة فتجلت أعماله في فتح الشوارع و الميادين و الأحياء الجديدة و تجميل المدينة و توفير الهواء النقي من خلال المتنزهات و الحدائق، لذا كانت له اللمسة الجمالية في المدينة العريقة. (١)

وقد تأثر إسماعيل بالحضارة و العمران في باريس، وعندما عاد منها أراد أن يطور عاصمة البلاد وأن تخطط على الطراز الأوروبي، لذا عهد إلى المهندس الفرنسي جورج هاوسمان "George Haussman"

(١) عبد الرحمن الرافعي: عصر لإسماعيل، ج٢، ط٤، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص ص ٢٩، ٣٠.

رئيس بلدية باريس، صاحب مدرسة تنظيم المدن الحديثة، ومخطط العاصمة الفرنسية التي اقتدت بها كثير من مدن أوروبا في تخطيط عواصمها في القرن التاسع عشر، عهد إليه تخطيط القاهرة. (١)

كما عهد إلى " علي باشا مبارك"• إعداد برنامج شامل بتخطيط و تطوير القاهرة الحديثة، قد أسند إليه "ديوان الأشغال العمومية" عقب عودته من باريس. (٢)

كان إسماعيل شغوفا بحب البناء و الشكل الجمالي، وأبدى اهتماما كبيرا ببناء القصور كقصر عابدين و الإسماعيلية الصغير و الجيزة و الجزيرة و قصر القبة و بولاق و قصر الزعفران بالعباسية، وغيرها بالإسكندرية و المنصورة والمنيا و الروضة، كما اهتم بتنظيم القاهرة فأنشأ كوبري قصر النيل البديع ليصل الجزيرة بمصر، وربطها بجسر بالجيزة و هو كوبري البحر الأعمى (كوبري الجلاء حاليا)، كما اهتم أيضا بالبيئة و الصحة فعمل على غرز الأشجار و تشييد الحدائق الغناء و الاعتناء بالمناظر الطبيعية الرائعة و بناء المستشفيات. (٣) و الطرق المعبدة و أهمها الطريق المعبد بين القاهرة و الأهرامات الذي رصف بالحجارة سنة ١٨٦٩ بمناسبة دعوة الخديوي إسماعيل أباطرة و ملوك العالم ومنهم الإمبراطورة أوجيني إمبراطورة فرنسا و رنسوا جوزيف إمبراطور النمسا و ملك المجر وولي عهد بروسيا و الأمير هنري شقيق ملك هولندا و سفيرا إنجلترا و روسيا بالأستانة وذلك لحضور حفل افتتاح السويس ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩م. (٤)

وتعد فترة حكم الخديوي إسماعيل من أفضل فترات تجميل و تطوير مدينة القاهرة خاصة أن محمد علي باشا لم يكن يهتم بالعمران و كان لديه اهتمامات أخرى على رأسها الاقتصاد و الصناعة وبهما وضع أساس مصر الحديثة، أما إسماعيل فقد وضع جل اهتمامه في العمران وخاصة مدينة القاهرة، فظهرت العديد

---

(١) عبد المنعم إبراهيم الجميعي: المجلة التاريخية المصرية، الخديوي إسماعيل وبناء القاهرة الحديثة (مشروع باريس الشرق)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد رقم (٤١، ١٠١، ٢٠٢ م، ص ٩٥.

• ولد علي مبارك في قرية برنبال الجديدة التابعة لمركز دكرنس محافظة الدقهلية سنة ١٨٢٤م ونشأ في أسرة كريمة وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة و الكتابة ثم التحق بمدرسة الجهادية، ثم انتقل إلى المدرسة التجهيزية بعد الغاء مدرسة الجهادية، ثم المهندسخانة سنة ١٨٣٩م، وكان ضمن طلاب البعثة المصرية التعليمية إلى فرنسا وكان من بين أعضاء هذه البعثة نجلا محمد علي، الأميران حسين بك و حليم بك، واثنين من أحفاده هما الأمير أحمد بك وإسماعيل بك (خديوي مصر). للتفاصيل أنظر: محمد عمارة: علي مبارك: مؤرخ و مهندس العمران، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٤م، وانظر أيضا: حسين فوزي النجار/ علي مبارك أبو التعليم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) عرفه عبده علي: القاهرة في عصر إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

(٣) علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، مرجع سابق، ص ص ٨٥، ٨٦.

(٤) محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، مكتبة مدبولي القاهرة ط٢، سنة ١٩٩٦ م، ص ١٤٣.

من الانجازات المعمارية و التي بنيت على الطراز الأوروبي وإنشاء الحدائق العامة وبناء المسرح القومي و دار الأوبرا التي احترقت في ٢٨ أكتوبر من عام ١٩٧١م و التي كانت بمثابة صدمة كبيرة للمصريين و للتاريخ، ويعد تمثال إبراهيم باشا في ميدان الأوبرا من المظاهر المعمارية الجمالية. (١)

فبناء العمارة على الطراز الأوروبي في عصر إسماعيل قد غير الوجه العمراني لمصر حتى أن "علي مبارك" وصف انتشار المباني في ذلك العصر بأنها مزيج من المباني الأوروبية بتنوعها و زينتها وزخرفتها و مراعاتها للأبعاد البيئية، و تغير القاهرة عن ما قبل هذا العصر فتحولت تحولا كبيرا و ملموسا واتسمت بالمناظر الجمالية و تعد بحق باريس الشرق. (٢)

وعليه فقد انعكس ذلك على مظاهر التطور الاجتماعي، فأقبل سكان القاهرة على الرياضة و التنزه، فأخذوا يرتادون الحدائق و المتنزهات و الضواحي خاصة بعد إنشاء كوبري قصر النيل وفضل العديد من الناس التنزه تجاه كوبري قصر النيل البديع بعد أن كانت شبرا هي منتزه سكان القاهرة من قبل، ثم أخذ الناس يتحولون إلى كوبري قصر النيل و الحدائق الغناء و مشاهدة المناظر الطبيعية الرائعة.

ورغم التطوير الذي أحدثه الخديوي إسماعيل على مدينة القاهرة إلا أنه لم يهدم الأحياء القديمة كما حدث في مدينة باريس، فقد قرر بناء مدينة جديدة تماما إلى العرب مباشرة من المدينة القديمة، وأتى بالمهندسين المعمارين الأوروبيين إلى القاهرة ليبدأ بعد ذلك أكثر فترات البناء ديناميكية في مصر منذ العصر المملوكي، وتبقى مباني القاهرة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مذهلة، لكنها مهملة يهددها التلوث وتهدم لتقام مكانها الأبراج الخراسانية خاصة بعد عام ١٩٥٣. (٣)

كما كانت القاهرة في عصر إسماعيل تشغل ثلاثة أضعاف مساحة باريس و كانت في جمالها أبدع من باريس، ومدينة القسطنطينية كانت تتضائل بجوارها، فالقاهرة عاشت في هذا العصر فترة من أجمل فترات حياتها بما تهيأ لها من أسباب الرقي و الرفاهية، وأنها بلغت حينئذ من الشهرة العالمية ما لم تبلغه في أي

---

(١) منير السمري: أخبار الأدب، العدد ٧٩٠، ٣١ أغسطس ٢٠٠٨م،

(٢) محمد حسام إسماعيل: أخبار الأدب، العدد ٧٩٠، ٣١ أغسطس ٢٠٠٨م.

(٣) دار الخليجي للطباعة و النشر، ٢٤-١٠-٢٠٠٨م، نقلا عن، سينثيا مينيتي، ترجمة أحمد محمود: قاهرة إسماعيل باريس على ضفاف النيل المركز القومي للترجمة، جمهورية مصر العربية.

عصر من عصورها السابقة، وعلى سبيل المثال كانت حديقة الأزبكية أزهى حدائق العالم، ودار الأوبرا كانت من أكثر دور للموسيقى و التمثيل سعة و فخامة[1] ، ولكن تبدل حالها من الجمال و الرقي إلى الأبنية الأسمنتية المتراصة و التي تخلو من المساحات الخضراء و كذا ظهور العشوائيات مما أفقدها سحرها و جمالها.

كما أدخل الخديوي إسماعيل على القاهرة كثير من التحسينات و التعديلات، منها ردم البرك و تمهيد الطرق و رصفها و إنشاء الميادين التي أقيمت في وسطها التماثيل، فغدت القاهرة وكأنها باريس الشرق، كما كانت المساحات الخضراء تمثل جانبا شديد الأهمية في عهد إسماعيل، فمنها بساتين الأورمان التي كانت تشغل مساحة ٤٦٥ فدانا، ونسقت بها الأشجار النادرة المستوردة من أوروبا و أفريقيا و الهند و الصين، وكذا حديقة الأزبكية التي كانت حينذاك تحفة معمارية و زراعية، و من الحدائق التي أنشئت في عهده أيضا حديقة الأسماك، وحدائق حي الإسماعيلية الذي كان بمثابة حديقة كبيرة، حيث كان كل مبنى محاطا بالأشجار و الأزهار، ولاهتمام إسماعيل بتجميل البيئة المصرية فقد بعث قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية في ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣م برسالة وكان نصها "بلغ التجميل و التغير في مدينة القاهرة منذ بضع سنوات مدى يصعب على الأجنبي تقدير طبيعته ولهذا حق التقدير"، كما قال السير "صمويل بيكر" في نفس العام في كتابه الإسماعيلية "إن مصر وحدها هي التي تستطيع تمدين أفريقيه النيلية إلى خط الاستواء، و بذلك تطمئن لحياة السائحين في تلك الأقطار، كما أورد المسيو سواتزرارا قنصل النمسا في عهد إسماعيل بأن الأقطار السودانية التي كانت مقفلة قد فتحت للتجارة و الرحلات، مما مهد السبيل لدخول الحضارة إليها".[2]

كما اشتهرت في عصر إسماعيل مدن عديدة كمدينة حلوان الجميلة التي تقع جنوب القاهرة ذات الشوارع المستقيمة و الحدائق الغناء في عصر إسماعيل ومياهها الكبريتية و هوائها النقي و التي كانت منتجعا

---

(١) عرفة عبده علي: القاهرة في عصر إسماعيل، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٢) عرفة عبده علي: المرجع السابق ص ص ٥٢-٥٥. نقلا عن عماد رمضان سليمان: فعالية تضمين البعد البيئي في مقرر الدراسات الاجتماعية على التحصيل و تنمية الاتجاهات البيئية لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات و البحوث البيئية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م، ص ص ٢٧٣، ٢٧٥.

سياحيا علاجيا في فصل الشتاء فقد كان يفد إليها السياح الأجانب خاصة من الدول الاسكندينافية من القارة الأوروبية و كذا المصريين للاستشفاء و علاج بعض الأمراض مثل الروماتيزم و الأمراض الجلدية، وحينها أشارت جريدة الوقائع في عددها الصادر في ١٣ يناير ١٨٧٤م إلى ما شهدته حلوان من إقبال و عمران نتيجة اهتمام الخديو إسماعيل بها،[١] ونرى الآن تحولها المميت بعد إنشاء مصانع الأسمنت• و الحديد و الصلب مما أدى إلى تلوث الهواء، فأصبح التلوث سمة الحياة في حلوان، فقد تحولت إلى مدينة ملوثة بنسبة ١٠٠% نتيجة السياسة العشوائية و التخطيط غير السليم للتوطن الصناعي و العمراني. [٢]

و إذا كان محمد علي اهتم كثيرا بالنظافة العامة في شوارع القاهرة و إنارتها و توسعتها و التخلص من الأنقاض ومد شبكة جديدة لمياه الشرب النقية و كذا كنس و رش الشوارع و تنظيف الأسواق وهو أول من شرع قوانين للمحافظة على البيئة، فيقول الرحالة "سان جون" في عام ١٨٣٢م كانت الشوارع في القاهرة نظيفة و ملفتة للنظر إذ يتم كنسها ثلاث مرات يوميا و تنقل القمامة خارج المدينة. [٣]

فكان عصر إسماعيل امتدادا لتلك الأعمال بل تخطى ذلك بأن جعل القاهرة تفوق عواصم أوروبا، و كان تحديثها بالنسبة لإسماعيل رمزا لارتقاء مصر حضاريا و تجسيدا لرغبته في أن يشهد الغرب عاصمة أوروبية في مصر ألا و هي القاهرة تحكم دولة عصرية تقوم على ضفاف النيل، تمتد من الإسكندرية شمالا إلى الخرطوم جنوبا، وهو صاحب المقولة الشهيرة (أن جذور مصر في أفريقيا و فروعها في أوروبا)، لذا اهتم إسماعيل بالمحافظة على الصحة و النظافة و من مظاهر ذلك وفر أسباب النظافة و الصحة لتوجيه مصر نحو المدينة العالمية و إلباسها مظاهر النهضة الحديثة، فقاهرة إسماعيل فاقت كل ما سبق حكام الأسرة العلوية.

---

(١)عرفة عبده علي: القاهرة في عصر إسماعيل، مرجع سابق، ص ٨٧.

• ذكرت وكالة الأنباء السعودية (SPA) في ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨م، بأنه أحدث تقرير مصري أن المخلفات الناتجة من مصانع الأسمنت في مصر و التي تبلغ نحو ١.٥ مليون طن سنويا تصيب السكان بالعديد من الأمراض الخطيرة وتسهم في تلوث البيئة، وتوصل الجهاز المركزي للمحاسبات من خلال تقرير أعده إلى ارتفاع أعداد مصانع الأسمنت في مصر إلى ١٥ مصنعا منتجا بطاقة إنتاجية تبلغ ٣٥ مليون طن سنويا عام ٢٠٠٧م يستحوذ على رؤوس أموال ١٤ شركة منها مستثمرون اجانب مؤكدا أن تلك المصانع ينتج عنها مخلفات تتمثل في تراب الأسمنت المعرفو بتراب/الباي باص/ والذي يبلغ نحو ٤١٠٦ طنا يوميا بواقع ١.٥ مليون طن سنويا تسهم في تلوث البيئة الهوائية و إصابة السكان بالعديد من الأمراض منها التحجر الرئوي و أمراض ضيق التنفس و سرطان الرئة والتهاب الجلد و العين و السعال الحاد و الالتهاب المزمن للأنف.

(٢) منى قاسم: التلوث البيئي و التنمية الاقتصادية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص ١٠٣.

(٣) جمال بدوي: محمد علي و أولاده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٦.

[1] فكانت المسائل الصحية موضع عناية إسماعيل وشاركه في هذه العناية نوابغ الأطباء في مصر الذين عملوا على تحسين أحوال البلاد الصحية و مقاومة الأمراض و مكافحة الأوبئة، وكان للإدارة الصحية فضل كبير في مقاومة الأمراض و خاصة وباء الكوليرا الذي حل بالبلاد سنة ١٨٦٥م، وتتجلى هذه العناية في إنشاء المستشفيات و تنظيم مهنة الصيدلة و إنشاء حمامات حلوان المعدنية للاستشفاء وعدم ذبح الحيوانات إلا داخل السلخانات حفاظا على البيئة من التلوث و الوقاية من الأمراض. [2]

وقد تطلب تحديث القاهرة و تسوية الأرض الخراب حولها و فتح طرق رئيسية و شرايين مواصلات جديدة، و إنشاء ميادين و أماكن مفتوحة ومساحات خضراء وزرع أشجار، وبناء المصارف و النظافة المنتظمة، و كان هذا التنظيم يتطلب بدوره إزالة بعض التجمعات العشوائية من الداخل، ومن الشوارع التي تم تجديدها شارع محمد علي و يشير هنا "علي مبارك" بأن هذا الشارع من أعظم ما تم إنجازه في مدينة القاهرة و تحول من مكان ملئ بالقاذورات إلى مكان يوازي أعظم مواقع القاهرة. [3]

ويتضح كما ذكرنا سالفا اهتمام الخديوي إسماعيل بالنهوض بمصرنا العزيزة في جميع المجالات، فيعد عصر إسماعيل أكثر عصورنا التاريخية الحديثة ثراء و حركة شاملة و الأخذ بأسباب الارتقاء الحضاري في العمران و الزراعة و الصناعة و التجارة و التعليم و القضاء و النظم السياسية والإدارية و تجميل البيئة من تعمير الأحياء القديمة بالقاهرة و إصلاح مداخلها، فمن أعماله تزويد القاهرة بالمياه الصالحة للشرب وإنارتها بالمصابيح، وردم البرك و المستنقعات المنتشرة بها و إزالة الركامات و الأتربة التي كانت تحيط المدينة و التي كان قد بدأ محمد علي باشا في إزالتها، والرعاية الصحية و الاهتمام بالآثار المصرية و إنشاء المباني العامة والتي تمثلت في دار الكتب المصرية و الجمعية الجغرافية و دار الأوبرا و دار الآثار العربية وغيرها. ومحطات للسكك الحديدية، فكان يتميز ببعد النظر و الجرأة و القدرة على التأمل على غرار مؤسس الأسرة العلوية،

(١) عرفة عبده علي: مرجع سابق، ص ص ١٥-٢٧.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٣.

(٣)عرفة عبده علي: مرجع سابق، ص ص ٣٧-٣٨.

وعمل على تطوير و تحديث القاهرة على النسق الأوروبي من خلا التخطيط لأحياء جديدة. [1] ولذا غدت القاهرة ... قاهرتان، القاهرة المعذبة القديمة، وقاهرة إسماعيل كما رآها من إبداع وجمال.

ماذا حدث لباريس الشرق؟ فقد اختلفت الآن عن مثيلتها في فرنسا فلم يعد يوجد تشابه بين المدينتين الآن، فلا شواطئ النيل كشواطئ نهر السين و لا حديقة الأورمان بجمال و نظافة أصغر حدائق باريس و لا بنايات و قصور القاهرة القديمة و التي تتداعى من جراء الإهمال تذكرك بجادات باريس الفاخرة، وحتى كوبري قصر النيل الذي كان يعتبر آنذاك من أجمل جسور العالم بعد أن زينه الخديوي إسماعيل بأربعة تماثيل لأربعة من السباع المصنوعين من البرونز نحتها أشهر نحاتي ذلك العصر، كل هذا يتحول الآن إلى خرائب ويتساءل الكثيرون عن المسئول وغالبا ما تسمع إجابات مختلفة فالمواطن المصري يرمي المسئولية على الحكومة، و الحكومة تتهم المواطن بالإهمال، ولكن لابد الآن أن تتضافر الجهود من قبل المسئولين و المواطنين لإنقاذ القاهرة القديمة، قاهرة الخديوي إسماعيل.

والواقع المرير أن القاهرة قد تغيرت جذريا و تحولت من المدينة الجميلة و العمائر الفخمة إلى مساكن سيئة تفتقر اللمسة الجمالية ولاتصلح للسكن الادمي مثل مساكن عين الصيرة التي أنشئت في أعقاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وتحول منطقة حلوان الجميلة ذات الحدائق الغناء والهواء النقي و المياه المعدنية و التي كانت من معالم السياحة العلاجية إلى منطقة مليئة بالتلوث و الهواء الملوث وكذا افتقار المياه المأمونة والتي لا تصلح للشرب، وذلك بسبب المصانع التي أنشئت بها في عهد "جمال عبد الناصر" فتبدلت من الاستشفاء من الامراض إلى التسبب في الأمراض في حين أن في مصر مساحات شاسعة غير مستغلة يمكن إنشاء هذه المصانع عليها و الحفاظ على جمال و نقاء حلوان.

وخلاصة القول لقد تحولت قاهرة إسماعيل من نظافة الشوارع بكنسها و رشها وهوائها النقي و عمائرها الجميلة وحدائقها الغناء و قصورها الفخمة و المساحات الخضراء التي كانت تمثل جانبا شديد الأهمية في النسيج الحضري لمدينة القاهرة و تطورها خلال القرن التاسع عشر الميلادي، قد تحولت إلى أمكنة تلقي بها القمامة، والازدحام الشديد بسبب الهجرات الداخلية إلى مدينة القاهرة، والقرارات

(١) جي فاجيت: ترجمة محمد رفعت عواد: محمد علي مؤسس مصر الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م، ص ٢١٥.

العشوائية، وظهور العشوائيات التي تعد بؤرة للفساد، ومظاهر السلوك الخاطئ لدى الأفراد وتخلي معظم الناس عن الاهتمام بالنظافة و المحافظة على المدينة التي تعاني الكثير، وكذا كثرة السيارات التي تسببت في أزمات مرورية بصفة مستمرة و تلوث الهواء و ظهور السحابة السوداء•، وغير ذلك من السلبيات التي تعاني منها باريس الشرق التي خلعت ثوبها الجميل و تخلت عنه رغم إرادتها.

وبعد كل ما تتعرض له مدينة القاهرة من مشكلات بيئية تعود في معظمها إلى السلوك الإنساني السئ الذي يسلكه بدون وعي، فضلا عن سوء التخطيط والقرارات غير الرشيدة، فمن الأهمية تثقيف المواطن بمشاكل البيئة، والتنوير بقضاياها، وترشيد سلوكه، وتبصيره بالتوابع البيئية لأفعاله وممارسته، حتى يستعيد الانسجام بين حياته ومتطلباتها، وبين الاتزان السليم والتواؤم في النظم البيئية التي يعيش في إطارها، خصوصا عندما يتولى مسئولياته التخطيطية والتنفيذية في مجالات الإعمار و البناء واستخدام الأرض و التخطيط و التنمية الاقتصادية والاجتماعية. (١)

وعليه فمن الضروري وضع استراتيجيات للتطوير الحضري بحيث لا يؤثر على البيئة الطبيعية و كذا على الأبنية القديمة التي يجب المحافظة على عمائرها و مبانيها الأثرية و حمايتها،(٢) فالبيئة هي التراث المشترك للبشرية، كما أنه من الضروري تكوين سلوك سليم للفرد تجاه البيئة والالتزام بالأخلاق البيئية سواء كانت البيئة الطبيعية أو البيئة المشيدة فهي تشكل سياق الحياة و الثقافة الإنسانية معا، واستثمار طاقة الفرد لحماية البيئة و ذلك للوصول لأسمى الغايات ألا و هو المحافظة على صحة الإنسان(٣)

• السحابة السوداء: تظهر في الخريف من كل عام وهي مظهر للتلوث الدائم طوال العام وقد بدأت هذ الظاهرة تظهر في خريف ١٩٩٩م، حتى الآن الأمر الذي أدى إلى معاناة المواطنين لا تزال مستمرة حتى الآن، ورغم هذا فجميعنا يجب أن ندافع عن بيئة نظيفة صحية خالية من السموم. للتفاصيل أنظر: حسن أحمد شحاته: تلوث البيئة " السلوكيات الخاطئة و كيفية مواجهتها"، الدار العربية للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ص ص ١٧٢ ١٨٣

(١)زكريا طاحون: أخلاقيات البيئة و حماقات الحروب مجلة القراءة و المعرفة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد ١٣، سنة ٢٠٠٢م ص ١٨٣

(2)Paul p. & et, al: Ethics and Values in Environmental policy, The white Horse Press, Environmental Values, V2, 1993, pp137-157

(3)Nigel Dower: Human Development- Friend or Foe to Environmental Ehics?. The white Horse press, Environmental Values V9, 2000, pp 39-54

فقد آن الأوان أن نعمل قدما و ساقا على عودة النقاء لمدينة القاهرة ووقف استنزافها ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان و الإخلاص في العمل كمسئولين و مواطنين، واتخاذ قرارات مدروسة. قرارات علمية تساعد على إيجاد حلول لعودة القاهرة إلى ما كانت عليه في عصر إسماعيل.

من الممكن أن يتحقق ذلك الحلم الجميل من خلال الآتي:

١-تنمية الوعي البيئي بالنسبة للأفراد و عامة الناس عن طريق المناهج الدراسية و المؤسسات الاجتماعية و الدينية و الجمعيات الأهلية و الندوات ووسائل الإعلام.

٢-تضمين الأبعاد البيئية وحل المشكلات البيئية التي تعاني منها القاهرة بالمناهج الدراسية من أجل احترام البيئة و المحافظة عليها.

٣-غرس القيم الجمالية لدى الأفراد و الجماعات.

٤-اتخاذ القرارات الصائبة من قبل المسئولين لحماية القاهرة من التلوث.

٥-تفعيل القوانين التي تحمي مدينة القاهرة من تلوث الهواء و خلق بيئة نظيفة غير ملوثة.

٦-إيجاد حلول سريعة و آمنة للتخلص من المخلفات التي تكتظ بها شوارع العاصمة.

٧-تفعيل القوانين الرادعة لمنع إشغال الأرصفة و الطرق التي تهدد سلامة الناس.

٨-وضع استراتيجيات لمنع حدوث مشكلات بيئية و تفادي وقوعها.

٩-وضع خطط للتخفيف من أعباء مدينة القاهرة .

١٠-تشييد مدينة جديدة في الصحراء الغربية جعلها عاصمة لإنقاذ القاهرة من الموت الحقيقي.

١١-منع الهجرات من الريف إلى مدينة القاهرة للحد من الازدحام.

١٢- تنفيذ مشروع الحزام الأخضر حول مدينة القاهرة.

١٣-اهتمام كافة الأجهزة المعنية بالعدل البيئي، واحترام البيئة سواء كانت طبيعية أو مشيدة.

١٤-جعل فكرة العدل البيئي جزءا أساسيا في عمليات اتخاذ القرارات.

١٥-عدم المساس في المستقبل بالعدل البيئي و الحق بالعمل و العيش في بيئة سليمة.

١٦-حماية البيئة التاريخية و المحافظة على المباني و العمائر الأثرية من خطر الهدم.

١٧- تغيير قيم و معتقدات الناس تجاه البيئة و المحافظة عليها.

١٨-تخطيط و تطوير المناطق التاريخية و التراث الأثري في مدينة القاهرة.

١٩-تعميق الوعي و الثقافة البيئية بين كافة قطاعات و شرائح المجتمع المحلي، وتحفيزهم على المشاركة بإيجابية في حماية بيئتهم و المحافظة عليها.

٢٠-إعادة صياغة الرؤية الجمالية العامة لجميع البيئات التاريخية، و إزالة التعديات و التشوهات الحالية.

٢١-وضع برامج و أولويات لترميم و صيانة المباني و سرعة إنقاذها من عوامل التدهور.[١]

٢٢-الاستفادة من الخبرات الدولية في مجال الحفاظ على التراث مثل اليونسكو.

٢٣-الاستعانة بالصور القديمة التي توضح أصل شكل المباني التراثية وعمل دراسة لإزالة التشوهات بواجهات المباني.

٢٤-التسجيل و التوثيق و عمل سجل يتضمن كافة البيانات لمباني القاهرة الخديوية.

٢٥- إنشاء جهاز فني يضم ذوي الخبرات في مجال الحفاظ على التراث و الترميم المعماري و إدارة المواقع التاريخية.

٢٦-تعويض ملاك العقارات ذات القيمة التراثية و إعفائهم من الضرائب العقارية.

٢٧-توعية مهندسو الأحياء بأهمية الحفاظ على المباني التراثية و الاهتمام برصد المخالفات وعمل اللازم نحوها.

(١) يوسف عمر محمد الرافعي و آخرون: تدهور و ضياع عمران قاهرة الخديوي إسماعيل، مؤتمر الأزهر الدولي التاسع، مجلة جامعة هندسة الأزهر، الجزء ٢، العدد٨،١٢-١٤ أبريل ٢٠٠٧م، ص ٢١٤.

المراجع

أولا– المراجع العربية

١–أحمد محمد عوف: موسوعة حضارة العالم، ج٦ الموسوعة الحرة، ويكبيديا، ٣١–٩–٢٠٠٨م.

٢– جمال بدوي: محمد علي و أولاده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣– جي فاجيت: ترجمة محمد رفعت عواد: محمد علي"مؤسس مصر الحديثة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.

٤–دار الخليج للطباعة و النشر، ٢٤–١٠–٢٠٠٨م، نقلا عن، سينثيا مينيتي، ترجمة أحمد محمود: "قاهرة إسماعيل: باريس على ضفاف النيل" المركز القومي للترجمة، جمهورية مصر العربية.

٥–زكريا طاحون: أخلاقيات البيئة و حماقات الحروب، مجلة القراءة و المعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد ١٣، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٨٣.

٦–شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧–عبد الرحمن الرافعي: عصر لإسماعيل، ج٢، ط٤، دار المعارف، ١٩٨٧م.

٨–عبد الرحمن الرافعي: عصر لإسماعيل، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩–عبد المنعم إبراهيم الجميعي: المجلة التاريخية المصرية، الخديوي إسماعيل و بناء القاهرة الحديثة (مشروع باريس الشرق)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد رقم (٤١) ٢٠٠١–٢٠٠٢م.

١٠– عرفة عبده علي: القاهرة في عصر إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م.

١١– علماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب. موسوعة وصف مصر، مكتبة نهضة مصر للطباعة و النشر، ج٤، ٢٠٠٢م.

١٢– علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

١٣–عماد رمضان سليمان: فعالية تضمين البعد البيئي في مقرر الدراسات الاجتماعية على التحصيل و تنمية الاتجاهات البيئية لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات و البحوث البيئية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م.

١٤- محمد حسام إسماعيل: أخبار الأدب، العدد ٧٩٠، ٣١ أغسطس ٢٠٠٨م.

١٥-محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٦م.

١٦-منى قاسم: التلوث البيئي و التنمية الاقتصادية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م.

١٧- منير السمري: أخبار الأدب، العدد ٧٩٠، ٣١ أغسطس ٢٠٠٨م.

١٨- يوسف عمر محمد الرافعي و آخرون: تدهور و ضياع عمران قاهرة الخديوي إسماعيل، "مؤتمر الأزهر الدولي التاسع"، مجلة جامعة هندسة الأزهر، الجزء ٢، العدد ٨، ١٢-١٤ أبريل ٢٠٠٧م.

ثانيا المراجع الأجنبية

1-Nigel Dower: Human Development- Friend or Foe to Environmental Ethics?, The White Horse Press, Environmental Values, V 9, 2000, pp 39-54.

2-Paul p. & eatl: "Ethics and Values in Environmental Policy" The White Horse Press, Environmental Values, V2, 1993, pp137-157.